خطبة ألقاها

الشيخ أ.د. سليمان بن سليم الله الرحيلي

أستاذ كرسي الفتوى بالجامعة الإسلامية والمدرس بالمسجد النبوي الشريف

يوم ١٥ ربيع الآخر ١٤٣٨ بالمدينة النبوية

[الخطبة الأولى]

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران:١٠٢]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء:١]

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار، ثم يا عباد الله:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة:١٢٨]، وقد أوتي ﷺ جوامع الكلم، فجمع لكم جوامع الخيرات في أحاديث قليلة، مَن عرفها عرف جوامع الخيرات، ومَن عمل بما فيها عمل بجوامع الخيرات.

ومن تلك الأحاديث الجوامع -يا عباد الله- ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه، فمعتقها أو موبقها».

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظم ما ورد في هذا الحديث!

«الطُّهور شطر الإيمان».

نعم، الطُّهور بمعنى الطهارة بمعناها العام –وهي النزاهة عن الأقذار الحسية والمعنوية– هي أن يجتنب المسلم النجاسة، وأن يزيلها عند حصولها، وأن يرفع الأحداث، يرفع الحدث الأكبر بالغسل، والحدث الأصغر بالوضوء، وأن يعالج قلبه من الأمراض المعنوية، وأن يجتنب المعاصي كلها.

الطهارة بهذا المعنى –يا عباد الله– نصف الإيمان، فإن الإيمان تخلية وتحلية، فنصفٌ تخلية، ونصفٌ تحلية.

فالتخلية يا عباد الله: أن يجتنب العبد ما أمر الله باجتنابه، وهذه هي الطهارة.

والتحلية: أن يفعل العبد ما أمر الله أن يُفعَل.

إذن هذه الطهارة – يا عباد الله– بهذا المعنى نصف الإيمان.

كما أن الطهارة بمعنى الوضوء نصف الإيمان، أي أنها جزء من الإيمان، فإن الأعمال من الإيمان، وإن الوضوء من أشرف الأعمال، فهو جزء من الإيمان.

أو يكون المعنى: أن الوضوء على النصف من الصلاة في الأجر، فإن الصلاة إيمان، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «الوضوء شطر الإيمان»، وصح عنه ﷺ أنه قال: «إسباغ الوضوء شطر الإيمان».

أفلا يحقّ لك –يا عبد الله– أن تعتني بوضوئك عناية تامّة، وقد أخبرك حبيبك ﷺ أن الوضوء شطر الإيمان؟

«والحمد لله تملأ الميزان».

الله عزوجل يوم القيامة يزن العباد وأعمالهم، ويزن بطائق أعمالهم، والأعمال تتفاوت في الميزان في ثقلها، بحسب ذاتها، وبحسب إخلاص العبد فيها، فمن ثقلت موازينه فأؤلئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأؤلئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآيات الله يظلمون، من ثقلت موازينه فإلى الجنة في عيشة راضية، ومن خفت موازينه فإلى جهنم فأمّه هاوية.

الأعمال توزَن يوم القيامة وتتفاوت في ثقلها، وإن من الأعمال الثقيلة في الميزان: ذكر العبد ربه بقوله (الحمد لله).

الله أكبر يا عباد الله! ما أعظمها من كلمة في معناها! وما أعظمها من كلمة في أجرها ومنتهاها!

(الحمد لله) معناها: وصف ربنا سبحانه وتعالى بصفات الكمال مع حبّه وتعظيمه، فالعبد عندما يقول (الحمد لله)، إنما يصف ربه بأوصاف الكمال مع حبه وتعظيمه لله، فإن كرّر ذلك كان ذلك ثناءً، فإن زاد التكرار كان ذلك تمجيدًا لله عز وجل.

«والحمد لله تملأ الميزان»: فهي ثقيلة في الميزان.

«وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض».

(سبحان الله) معناها: تنزيه ربنا سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى، فإذا قال العبد: (سبحان الله)، فقد نزّه الله عن كل ما لا يليق بجلاله، فإذا جمع مع ذلك قوله: (الحمد لله)، فإنه يكون قد وصف الله بصفات الكمال، مع حبّه وتعظيمه.

ولذا كانت هتان الكلمتان من أعظم الكلام، فهما أفضل الكلام الذي اصطفاه الله عز وجل لملائكته، وكان ثوابهما ثوابًا عظيمًا، فمن قال (سبحان الله وبحمده) في يوم مائة مرة حُطَّت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

وجاء في رواية: «والتسبيح والتكبير ملء السماوات والأرض».

وجاء في رواية: «ولا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والله أكبر، تملآن ما بين السماوات والأرض».

فتحصّل لنا بهذا -يا عباد الله- أربع كلمات تملأ ما بين السماوات والأرض، لا تملأ -يا عبد الله- ما بينك وبين السماء، وإنما تملأ كلّ ما بين السماوات والأرض، فالفضاء بين السماء والأرض يمتلئ إذا قال العبد (سبحان الله)، و(الحمد لله)، و(لا إله إلا الله)، و(الله أكبر).

فكيف بها في الميزان يا عباد الله؟! كيف لا تكون هذه الكلمات كذلك وهنّ أحبُّ الكلام إلى ربّنا ﷻ؟

وهنّ أحسن للمسلم من كنوز الدنيا كلها، يقول النبي ﷺ: «لَأَنْ أقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس».

هذه الكلمات الأربع -يا عباد الله- فيهنّ ثواب عظيم للمسلم، فعن أمّ هانئ رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت لرسول الله ﷺ: إني قد كبِرت وبدُنت وضعُفت، فمُرني بعملٍ أعمله وأنا جالسة، فقال ﷺ: «سبِّحي الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل لكِ مائة رقبة تُعتقينها من ولد إسماعيل، واحمَدي الله مائة تحميدة، فإنها تعدل لكِ مائة فرسٍ مُسرَجَةٍ تحملين عليها في سبيل الله، وكبّري الله مائة تكبيرة، فإنها تعدل لكِ مائة بدنة مُقلَّدة مُتقبَّلة، وهلِّلي الله مائة تهليلة، فإنها تملأ ما بين السماوات والأرض، ولا يُرفع لأحد مثلُ عملكِ يومئذٍ إلا من عمل بمثل ما عملتِ».

الله أكبر يا عباد الله! كلمات يسيرات يقولها العبد وهو جالس، فيها الثواب العظيم، وتملأ ما بين السماوات والأرض.

وإن في التسبيح والتحميد والتهليل لأجرًا عظيمًا ومنزلة كريمة، لو تنبّه لها المؤمن لَمَا غفل عن التسبيح والتحميد والتهليل، يقول النبي ﷺ: «إن مما تذكرون من جلال الله التحميدَ والتسبيحَ والتهليلَ، يَنْعَطِفْنَ حول العرش، لهنّ دويٌّ كدويِّ النحل، تُذكِّر بصاحبها، أَوَمَا يحبّ أحدكم أن يكون له -أو لا يزال له- مَن يُذكّر به؟»

الله أكبر يا عبد الله! إذا قلتَ (سبحان الله)، و(الحمد لله)، و(لا إله إلا الله)، فإنهنّ ينعطفن حول عرش الرحمن، لهنّ دويّ كدويّ النحل، ماذا يصنعن؟ إنهنّ يُذكّرن بك يا عبد الله! أوما تحب يا عبد الله -أوما تحب يا عبد الله- أن يكون لك عند الله ما يذكّر بك؟ بلى وربّ الكعبة! إني على يقين أنك تحب ذلك، ألا فالزم -رحمني الله وإياك- قول (سبحان الله)، و(الحمد لله)، و(لا إله إلا الله)، واجمع معهنّ: (والله أكبر)، مُوَحِّدًا مُتَّبِعًا، تكن من المفلحين.

«والصلاة نور».

نعم يا عباد الله، الصلاة نورٌ لصاحبها، نورٌ في قلبه، تنهاه عن الفحشاء والمنكر، وبهاءٌ وجمال في وجهه، ونورٌ في قبره، ونور يسعى بين يديه يوم القيامة.

«والصدقة برهان».

الصدقة برهان للعبد يا عباد الله، برهانٌ يدلّ على إيمانه، فإن العبد من طبعه يحب المال حُبًّا جمًّا، ولا يشبع من المال أبدًا، فإذا كان العبد مع حبّه للمال وتعلّق قلبه بالمال يُخرج المال لله عز وجل، فإن هذا برهان على أنه يحب الله عز وجل، وبرهانٌ على صِدق إيمانه.

وهذا المال الذي يُخرجه هو الذي يبقى له يا عباد الله، فإنّ مال الإنسان إما أن يكون لباسًا يَبلى، وإما أن يكون طعامًا يَفنى، وإما أن يكون صدقةً تبقى، وما سوى ذلك فليس له، وإنما ميّتٌ عنه، وتاركه للناس.

كما أن الصدقة -يا عبد الله- برهان لك إذا وقفت بين يدي الله عز وجل، وسألك عن مالِك من أين اكتسبته، وفيمَ أنفقته.

فإذا كنت -يا عبد الله- من الأبرار المنفقين في الدنيا في سبيل الله عز وجل، فإن هذا يكفي لك برهانًا لتنجوَ به من السؤال بين يدي الله عز وجل.

«والصبر ضياء».

الصبر -الذي هو حبس النفس على الامتثال- ضياء للعبد، ضياء له في دِينه، وضياء له في دُنياه، يَصلُح له به دِينه، وتَصلُح له به دُنياه.

الصبر -وهو الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله- ضياء لك يا عبد الله.

وتأمّل معي -رعاك الله- كيف أن نبيّنا صلى الله عليه وسلم قال: «والصلاة نور، والصبر ضياء»، فوصف الصلاة بكونها نورًا، ووصف الصبر بكونه ضياءً، قال العلماء: لأن الصبر كالشمس، له نور، لكن مع حرارةٍ

تصيب الإنسان، ومن لم يصبر على حرارة الشمس لن ينال ضوءها، فالصبر يحتاج إلى مجاهدة، ويحتاج إلى مصابرة، ليكون ضياءً للمسلم.

ألا فاتقوا الله عباد الله، واسمعوا ما قال رسول الله ﷺ، وافهموه، وامتثلوه، وأوصوا به، وتواصوا به –يا عباد الله– لعلّكم تُرحمون.

اللهمّ فأعنّا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا رب العالمين.

اللهمّ اهدنا فيمن هديت، وتولّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت.

اللهمّ زدنا ولا تَنقُصنا، اللهمّ زدنا ولا تَنقُصنا، اللهمّ زدنا ولا تَنقُصنا.

اللهمّ إنا عبادٌ من عبادك، نرجو رحمتك ونخاف عذابك، اللهمّ فارحمنا وأمّنّا من عذابك يا رب العالمين.

ربنا اغفر لنا ولوالدِينا ولأهلنا ولجيراننا ولأحبابنا وللمسلمين والمسلمات يا رب العالمين.

اللهمّ وفِّق وليّ أمرنا لما تحبّ وترضى، اللهمّ اجعله رحمةً على الرعية، اللهمّ يا ربنا، اللهمّ يا ربنا، اجعل في قراراته رفقًا بمن كان في هذا البلد من المواطنين وإخوانهم المقيمين، يا رب العالمين.

اللهمّ ما علمته يشقّ على المواطنين وعلى المقيمين، ولا مصلحةَ راجحةَ تُقابله، اللهمّ فاصرف عنه وليّ أمرنا يا رب العالمين.

اللهمّ يا ربنا، زد وليّ أمرنا تُقًى وصلاحًا ومحبةً للرعية يا رب العالمين، وزد الرعية تمسّكًا، وزد جماعتنا قوةً، واغفر لنا، واحفظ أمننا يا رب العالمين.

اللهمّ بارك لنا في رجال أمننا، اللهمّ بارك لنا في رجال أمننا، اللهمّ بارك لنا في رجال أمننا.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، أما بعد فيا عباد الله:

قال نبينا ﷺ:

«والقرآن حجة لك أو عليك».

الله أكبر يا عباد الله! القرآن كلام ربنا سبحانه وتعالى، نتلوه ونسمعه، والقرآن -يا عبد الله- حجة لك إن عملت بما فيه؛ إن آمنت بما فيه، وعملت بما فيه، كان حجّةً لك، وكان سببًا في زيادة أجرك وفي رفعة درجتك في الجنة.

فمن قرأ القرآن وعمل به -يا عباد الله- فإنّ له بكلّ حرفٍ حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، وإنه ليقال لصاحب القرآن في الجنة: «اقرأ، وارتقِ، ورتِّل، فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرأها».

أمّا من لم يعمل بما في القرآن، بل كان غافلاً عن كتاب الله عز وجل، فإنه مُتَوَعَّد -يا عباد الله- بأن يُعذّبه الله عز وجل، فيكون القرآن حجّةً عليه.

الذي يأخذ القرآن -يا عباد الله- فيغفل عنه في الليل ولا يعمل به في النهار، فإنه متوعَّد بأن يُعذَّب في قبره ويعذّب في النار يوم القيامة، فإن النبي ﷺ رأى رجلاً مستلقيًا على قفاه، وكان هنالك رجلٌ قائمٌ يُلقي عليه حجرًا، فيخدشه، ويخلع رأسه، ثم يتدَهْدَه الحجر، فيذهب صاحبه ويأتي بالحجر، فيعود رأسه كما كان، فيَفعل به ذلك إلى يوم القيامة، أتدرون من هذا يا عباد الله؟ إنه عبد آتاه الله القرآن، فلم يعمل به في النهار ونام عنه في الليل، نعوذ بالله من سوء الحال.

وهذا من العذاب قبل يوم القيامة، وأمّا عذاب النار فهو أخزى وأبقى، نعوذ بالله من سوء الحال.

ولذلك يا عبد الله، ولذلك يا أُخَيّ، عظِّم كلام الله، وإذا قرأت كلام الله فكُن به من العاملين، واجعل لك نصيبًا من الليل تقرأ فيه كلام الله سبحانه وتعالى.

«كل الناس يغدو».

نعم يا عباد الله، كل الناس يغدو، لا يُستثنى من ذلك أحد، كل الناس يغدو.

ومعنى يغدو هنا: يُصبح، وأصل الغدوّ: الذهاب في أول النهار، والمقصود -يا عباد الله- أن كل إنسانٍ يُصبح، فيبيع نفسه ولا بدّ.

فمن الناس من يوفّقه الله فيبيع نفسه لله عزّ وجلّ، فيتقي الله، ويخاف الله عزّ وجلّ، يحمل نفسه على الطاعة، ويصبر عن المعصية، راجيًا ما عند الله، خائفًا من عذاب الله سبحانه وتعالى، فيبيع نفسه، ويكون الثمن رضاء الله عزّ وجلّ والجنة، فهذا هو الذي أعتق نفسه، أعتق نفسه من ذل الدنيا، ومن خزي الدنيا، ومن رِقّ الشيطان، وأعتق نفسه من النار يوم القيامة.

ومن الناس -يا عباد الله- من يبيع نفسه للشيطان، أو يبيع نفسه لهواها، فلا يتقي الله، ويفعل ما حرّم الله، ولا يفعل ما أوجب الله عليه، يتّبع هواه، ويبحث عن ملذاته في الدنيا، باع نفسه لهواها، أو باع نفسه للشيطان، فهو مُهلِكٌ نفسه، وهو موبِقٌ نفسه، والعياذ بالله من سوء الحال.

ألا فكونوا -عباد الله- ممن باع نفسه لله فنال الهناءة في الدنيا، وطمأنينة القلب في الدنيا، وفاز برضوان الله في الدنيا والآخرة، وكان من عباد الله المُكرَمين يوم الحشر، وكان من أهل الجنة.

اتقوا الله عباد الله، واحبسوا أنفسكم على طاعة الله، واحبسوها عن معصية الله، فإن الدنيا قليلة، وإن الباقي منها قليل، وإن الذي للواحد منا قليل، والله أعلم متى ينتهي القليل، الله أعلم متى ينتهي القليل، لكن الموفَّق من خُتم له على عملٍ صالح، فرضي الله عنه بذلك، وبُعث على هذا العمل الصالح، اللهمّ فاهدنا أجمعين.

ثم اعلموا -رحمني الله وإياكم- أنّ الله أمركم بأمرٍ عظيمٍ، بدأ فيه بنفسه، ثمّ ثنّى بملائكته، فقال -عز من قائل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب:٥٦].

وقال ﷺ: «من صلَّى عليّ صلاةً واحدة صلّى الله عليه بها عشر صلوات، ومحا عنه عشر خطيئات، ورَفعه عشر درجات».

فاللهمّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميدٌ مجيدٌ، وسلِّم على محمد وآله وصحبِه تسليمًا كثيرًا، اللهمّ صلّ على النّبيّ الأمّيّ، اللهمّ صلّ على النّبيّ الأمّيّ،

اللهمّ صلّ على النّبيّ الأمّيّ، اللهمّ وسلّم عليه تسليمًا كثيرًا، اللهمّ وارض عن الصحابة أجمعين، اللهمّ وارض عن الصحابة أجمعين، اللهمّ وارض عن الصحابة أجمعين.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠].

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نِعمه يزدكم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت:٤٥].